والملاحظ في الأمثلة الواردة أن الأداة لم تتغير، وإنما تغير الوجه البلاغي بحسب الجملة التي دخلت عليها، وبحسب تركيب هذه الجملة،

ولا يمكن أن نأخذ برأي البلاغيين القائل بأن هذه الأدوات تختلف في معانيها، ويمكن أن يقال: إن ظلال معنى الجملة وإيحاءاته تضفي على الأداة شفافية مستمدة من هذا المعنى فتتلون الأداة، وتظهر الوجه البلاغي من دعاء وإغراء وزجر واستغاثة وما سوى ذلك.

ومثل الأداة هنا كمثل لوح الزجاج الصافي إن وضعته على الجسم الأبيض رأيت بياضاً متصلاً، وإن وضعته على الجسم الأصفر أو الاحمر أو الأخضر أو الأسود أعطاك اللون ذاته... لا تميز الزجاج مما تحته فكأنهما كل لا ينفصل وجزء لا يتجزأ[1].

هـ ـ بلاغة النداء في القرآن الكريم:

للقرآن الكريم طريقة في التعبير تعتمد على التصوير، وهي طريقة فنية من طرق الأداء لها قيمتها في إظهار إعجاز القرآن، ومن سماتها إتباع تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية وإبرازها في صور حسية، ولهذه الطريقة فضلها في أداء الدعوة إذ تخاطب الحس والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ الحواس بالتخييل[2]، فتثير الانفعالات الوجدانية وتشيع اللذة الفنية بهذه الاثارة، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق الغرض المنشود.

وبهذه الطريقة التي تعتبر فناً قائماً وحده إزاء المعاني والأغراض كان القرآن في المنزلة الرفيعة من البلاغة وصلت إلى درجة الإعجاز التي يقصر عنها أساطين البلاغة والبيان.

وبلاغة النداء في القرآن مميزة وقد أدت قسطها ضمنه، ومن هنا يلاحظ

---

(١) د. بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني ص ٢١٧.

(٢) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار المعارف ١٩٦٣ ص ١٩٥.